

موضوعات متنوعة - دورات للطلاب الأجانب - دورة عام ١٩٩٩ - عقيدة - الدرس (٥٠ -
١٧) : السميع البصير.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٧-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

السميع البصير

السمع يراد به إدراك الصوت، ويراد به فهم المعنى، ويراد به القبول والإجابة، والثلاثة في القرآن.

فمن الأول قوله:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)﴾

(سورة المجادلة)

وهذا أصرح ما يكون في إثبات صفة السمع له، كما قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في جانب البيت، وإنه ليخفى علي بعض كلامها، فأنزل الله:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي

زَوْجِهَا

(سورة المجادلة: من آية " ١ ")

فالسميع: الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات؛ فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتهه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا تغطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين.

والثاني: سمع الفهم كقوله:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾

(سورة الأنفال: من آية " ٢٣ ")

أي: لأفهمهم.

والثالث: سمع القبول والإجابة؛ كقوله تعالى على لسان الخليل:

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)﴾

(سورة إبراهيم)

— ومرة يقرن السمع بالعلم، ومرة بالبصر وذلك حسب حال المستعيز.



الله يسمع استغاثة المستغيث

فإنه يستعيز به من عدو يعلم أن الله يراه ويعلم كيده وشره، فأخبر الله تعالى هذا المستعيز أنه سميع لاستعاذته، أي مجيب عليم بكيد عدوه يراه ويبصره، لينبسط أمل المستعيز، ويقبل بقلبه على الدعاء.

وتأمل حكمة القرآن كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف وحم السجدة قال تعالى:

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾

(سورة الأعراف)

وقال عز وجل:

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)﴾

(سورة فصلت)

وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِنْ كَبُرَ مَا هُمْ بِيَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)﴾

(سورة غافر)

لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى



بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوسواس وخطرات يلقيها في القلب، يتعلّق بها العلم، فأمر بالاستعاذة، بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة، بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية. كما جرت عادة القرآن بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكره من صفاته التي تقتضي الحذر والاستقامة، كقوله:

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩)

(سورة البقرة)

وقوله:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١٣٤)

(سورة النساء)

والقرآن مملوءٌ من هذا، وعلى هذا فيكون في ضمن ذلك أني أسمعُ ما يردُّون به عليك، وما يقابلون به رسالاتي، وأبصرُ ما يفعلون.

والحمد لله رب العالمين